ملامح النزعة الكونية في التشكيل العراقي المعاصر

إياد محمود حيدر
أطياف علي نجم

ملخص البحث

تناول البحث الحالي (ملامح النزعة الكونية في التشـكيل العراقي المعاصر) دراسـة الأبعاد المفاهيمية والأسـس الفلسفية التي قامت عليها النزعة الكونية ، فليس من شك ان العالم الآن يتجه الى التقارب بعد التطورات الهائلة في مجال التكنولوجيا الاتصالية والتي انعكست بشكل كبير على مفاهيم الهوية ، الخصوصية ، مفهوم الدول القومية ... الخ ليصبح للفرد مساحة واسعة من الاطلاع على الثقافات الأخرى ، وقد اثار كل ذلك اهتمام الفنان العراقي المعاصر هذا الاهتمام الناشئ من الرغبة في مواكبة ما يستجد في العالم من تطورات على مستوى الأفكار او على مستوى تطبيقاتها العملية في مجال الفن . لذا اعد الباحثان دراستها بأربعة فصول، اهتم الفصل الأول منه بالإطار المنهجي للبحث متمثلا بمشكله البحث التي تتحدد بالإجابة على السؤالين الآتيين: -ما هي ملامح النزعة الكونية التي قد تظهر في نتاجات الفن التشكيلي العراقي المعاصر !؟

وهل يمكن تحديد تلك الملامح بمستوياتها الشكلية والمضامينية والتقنية للفنانين التشكيليين العراقيين عبر منجزهم التشكيلي !؟ كما تضمن الفصل الأول هدف البحث وهو (الكشف عن ملامح النزعة الكونية في الفن التشكيلي العراقي المعاصر) اما حدود البحث فقد اقتصرت على دراسة ملامح النزعة الكونية وتحليل نماذج مصورة لأعمال فنية عراقية معاصرة في المدة الزمنية (1990-2010) أنجزها فنانون عراقيون داخل وخارج العراق وبمواد مختلفة ، ثم ختم الفصل المذكور بالمصطلحات الخاصة بعنوان البحث ، اما الفصل الثاني فقد تضمن عرضا للإطار النظري ، والذي ضم ثلاثة مباحث ، الأول منه (مفهوم الكونية والخصوصية) وتناول المبحث الثاني (ملامح النزعة الكونية في الفنون التشكيلية العالمية المعاصرة) ، واستعرض المبحث الثالث (التشكيل العراقي المعاصر بين الخصوصية والكونية) وانتهى الفصل بمؤشرات الإطار النظري . وقد تخصص الفصل الثالث بعرض إجراءات البحث من حيث رصد مجتمع البحث وحدوده بواقع (35) عملا تشكيلياً، والمعلومات المتعلقة به ليتم انتقاء عينه منه بطريقة قصديه والتي بلغت (4) نماذج للعينة غطت حدود البحث باعتماد المنهج الوصفي وبالطريقة الوصفية التحليلية لغرض تحليلها. وقد ضم الفصل الرابع نتائج البحث والاستنتاجات فضلا عن التوصيات والمقترحات وتليها قائمة المصادر.

مشكلة البحث

ليس من شك ان اشد الفترات حراجة واحتداماً في تاريخ البشرية هي تلك التي تصاحب تقدم الحياة السريع ، وتغيير مناهج التفكير ، ومغالبة الأفكار التقليدية القديمة ، لما تحمله الأفكار الجديدة من طاقة الهدم والبناء ، إذ ان العصر الذي نحياه بكل تفصيلاته وملابساته وتناقضاته ، والذي يوصف بعصر ما بعد الحداثة ، وقد أثار اهتمام الكثير من المثقفين في العالم ، هذا الاهتمام الناشئ من الرغبة في مواكبة ما يستجد على المستوى التنظيري في العالم بكل جوانبه بهدف استيعابه ، باعتبار ان الكونية تمثل مدلولاً أساسياً في فهم عالمنا اليوم وحياتنا الحاضرة ، والتي تدخل في إشكالية مع مفهوم الخصوصية والهوية الثقافية ، فقد مر الفن بأطوار مختلفة وشهد تحولات كثيرة عبر تاريخه الطويل الممتد منذ زمن الإنسان حتى العصر الأول ، حيث الطفرات المفاهيمية والإزاحات الفكرية والتقنية والنقدية التي جرى معها عملية صدع في الأسس البنائية وكسر للقوالب وخرق للمعايير اذ شهد العصر الحديث تغيراً في الرؤية إزاء المفاهيم السابقة بعدما دخلت الثقافات المختلفة والحضارات في العالم في صدامات وحوارات على المستوى الثقافة والأدب والفن لتؤسس لثقافة

كونية عالمية ، بدأت ملامحها بالظهور في معظم مجالات الحياة ومنها الفن ، ولاشك ان الفن التشكيلي العراقي ليس ببعيد عما يحدث في العالم من إزاحات وقفزات نوعية متوالية على مستوى التنظير او على مستوى التقنية ، كما ان الفنان التشكيلي العراقي ليس بمعزل عن التطورات والأساليب الجديدة المتبعة في الفن ، خاصة بعد التطورات الهائلة لوسائل الاتصال في الفترة الأخيرة من قنوات فضائية ، وشبكة الانترنيت ، والانفتاح على مجمل النشاط الفني في العالم ، فضلا عن هجرة مجموعة من الفنانين العراقيين واطلاعهم عن قرب عما يحصل في الفن التشكيلي في عديد من الدول في العالم ، سواء على مستوى الفكرة او على مستوى تقنيات الرسم وأساليبه من خلال فحص وتحليل كيفيات المعالجات الفنية في السطح التصويري لرصد هدف بحث الدراسة بحدود الخطاب البصري للفن التشكيلي العراقي المعاصر. ومن هنا تتحدد مشكلة البحث - ما هي ملامح النزعة الكونية التي قد تظهر في نتاجات الفن التشكيلي العراقي المعاصر(1990ـ 2010) !؟ - وهل يمكن تحديد تلك الملامح بمستوياتها الشكلية والمضامينية والتقنية للفنانين التشكيليين العراقيين عبر منجزهم التشكيلي !؟

أهمية البحث والحاجة إليه:

تتجلى أهمية البحث الحالي بوصفه محاولة بكر في ميدان الاختصاص-حسب علم الباحثين-وكونه يشكل خطوة عملية لتكريس الأطروحات الجديدة التي تستجد على مستوى العالم، في تبادلها وانسجامها مع اتجاهات الفن التشكيلي العراقي المعاصر، كما ويفيد هذا البحث المهتمين بدراسة الفن التشكيلي وطلبة الدراسات العليا المختصين في مجال الفنون التشكيلية، ويرفد البحث المؤسسات التربوية والعلمية والدارسين والمتذوقين على حد سواء بجهد علمي ومعرفي جديد.

هدف البحث:

تهدف الدراسة الحالية إلى الكشف عن ملامح النزعة الكونية في التشكيل العراقي المعاصر.

حدود البحث:

يقتصر البحث الحالي على دراسة ملامح النزعة الكونية في الفن التشكيلي العراقي المعاصر، من خلال تحليل نماذج مصورة لأعمال نفذت بالألوان الزيتية والاكرلك والورق، ومواد مختلفة أخرى، أنتجها فنانون عراقيون خلال المدة (1990-2010) علماً ان الحدود الجغرافية غير محددة بمكان معين كون عينه البحث قد تضمنت أعمال فنانين عراقيين مغتربين في أنحاء متفرقة من العالم.

تحديد المصطلحات وتعريفها:

ـ ملامح: -يرى الفراهيدي في كتاب (العين): ان لمحَ: هي لمحُ البرق: ولمحُ، ولمحهُ ببصرهِ، واللمحةُ: النظرة، والملامحُ جمع لمحة، أي ما بدى (الفراهيدي، ص243) – لمحةُ: أبصرهُ بنظرٍ خفيف، وبابه قطع، والمحهُ، أيضاً، والاسم (المَحة) بالفتح، وفي فلان لمح من أبيه أيضاً، أي شبه، ثم قالوا فيه (ملامحُ) من أبيه، أي مشابه. (الرازي، ص604) الملامح اجرائياً: هي السمات التي لا تظهر بصورة كاملة وواضحة جداً او مطابقة للأصل.

ـ النزعة: نزع جمع نزعات، واظهرَ نزعتهُ نحو الشيء: ميله واتجاهه ونازعَ: رام بالسهم. (مجموعة مؤلفين، ص1)، ونزع الى ابيه في الشبه أي ذهب. (الرازي، ص654)

ويعرف الباحثان النزعة الكونية اجرائياً: هي العلاقة التي تتأسس على ما هو مشترك بين الثقافات المختلفة من قيم كونية، وتظهر ملامحها في الفن العراقي المعاصر.

ـ المعاصرة : جاء في العجم العربي الأساس بان : عصر : جمع عُصور ، واعصُر زمن ينسب الى شخص او دولة او حدث (عصر ـ الرسول ، العصر ـ الحديث ، الخ) ، وعَصري ، سائر في نهج العصر ـ الحديث .(جماعة من كبار اللغويين العرب

،ص833) ، وعاصرهُ ، معاصرة ، كان في عصرهِ وزمانهِ ، والعَصرية ميل الى كل ما هو عصري وما هو من ذوق العصر .(البســتاني،ص479) ، وعرف (بهنسي ـ) المعاصرة : احدث زمن فني لمفهوم الحداثة ، وهي تكيف النتاجات الجديدة تكيفاً يتناسب وحاجات العصر في معايشة الظروف الراهنة والتطلعات المستقبلية .(بهنسي ،ص35) وقد تبنى الباحثان تعريف (بهنسي) لملائمته طبيعة البحث الحالي .

الإطار النظري

المبحث الأول: مفهوم الكونية والخصوصية

ان التعارض بين الكونية والخصوصية ظاهرة يعيشها العالم ككل تتزايد وتيرتها مع تزايد وسائل الاتصال ، إذ ان هناك حتمية للاتصــال والتفاعل بين مختلف الحضــارات والثقافات في كل مكان . كما ان التفاعل والتواصــل بين الثقافات ظاهرة انسانية متأصلة في التاريخ الانساني.

فالحديث عن الخصــوصــية والكونية، هو حديث عن الخاص إلى العام، ومن الجزئي إلى الكلي، ومن المحدود إلى الشـامل ، على اعتبار ان الكونية تسـعى إلى خلق نظام عالمي تذوب في الحدود والحواجز الثقافية والفكرية والاقتصـادية بين الأمم ، وتتيح التفاعل والتواصـــل بين مختلف الثقافات وأســـاليب الحياة . " فبعدما ظل المكان على امتداد التركيبة الأســاســية التقليدية ممثلاً بالدولة الوطنية، ومكاناً مغلقاً ، يمتلك خصــوصــية معينة ، أصــبح اليوم مجالاً كونياً مفتوحاً لتفاعلات ابعد من النطاق المحدد له ، يدخل فيه أفراد غير موجودين بالمكان ، وأحداث لا تحدث في المكان ذاته ."(قمودي ، موقع انترنت) ، كما ان اللغة الوطنية واللهجات المحلية المرتبطة بها والقيم الدينية المتكونة عبر العصـــور والعادات والتقاليد والأعراف النابعة من تلك القيم ، باتت كلها مهددة بالانخراط ضمن ثقافة كونية شاملة . فالثقافة نفسها لم تعد خاضـعة لوسـائل تقليدية في النشر ـ والانتشـار وإنما أضحت إلى حد ما متأثرة بالتكنولوجيا الاتصـالية ، فتبرز مفاهيم التفاعل الثقافي ، التداخل الحضـاري ، حوار الحضـارات ، التبادل الثقافي ، تنزع جميعها إلى صـياغة ثقافة كونية تقدم على أساس نسق عالمي من القيم يؤثر في اتجاهات البشر وسلوكهم بشكل متشابه في كل مكان ، وكان الغرض من هذه الثقافة الكونية ، إعادة تشـكيل الشـخصـية الإنسـانية وفق آليات تحد من سـطوة الهوية المحلية نحو انفتاح الثقافات بعضـها على بعض أخذاً وعطاءً ، وفق مفهوم المثاقفة . إذ ان الإنسانية اليوم تتطور في ظل حضارة عالمية واحدة تتميز بالتعدد الثقافي. والعالم يتجه لكي يصبح موحداً في ظل ثقافات متعددة تتفاعل وتتجاور فيما بينها بشكل يومي. فمع تصاعد معدل مسـتخدمي الشـبكة المعلوماتية الانترنت ومواقع (التواصل الاجتماعي) وجد الإنسان نفسه بعد عزله طويلة يتعامل مع حضارة ثورة الاتصـالات وتقنيات الاتصـال السـريعة، وصـار متاحاً ان يتعرف على ثقافات أخرى وقيم جديدة، وسـلوكيات متعددة، وأحدثت تغيراً كبيرا في كيفية الاتصـال والمشـاركة بين الأشـخاص والمجتمعات وتبادل المعلومات. لذا أصـبح المجتمع لا تحكمه دولة أو نظام محدد، أو أعراف وتقاليد خاصة، وإنما تحكم منظومة معلومات وشـفرات جماعية موحدة ، أسـهمت وسـائل الإعلام الحديثة على تسويقها وانتشارها وبالتالي تأثرها الواضح على الوعي والخيال والأفكار والقنعات والعواطف . ليصبح العالم كله يتعامل مع رموز وعلامات تكاد تكون معرفة لكل ســكان الأرض على اختلاف ثقافاتهم. فلم تعد الدولة والاعراف الاجتماعية والدينية هي القوى المسيطرة في عالم اليوم، بل اصبح الحديث في ذلك الى وسائل الاعلام والتقنية والاسواق ، وبالتالي عملت الفنون في مختلف مجالاتها على استثمار تلك الرموز والعلامات في أعمال فنية ذات نزعة كونية سعياً وراء تحقيق قدر اكبر من الانتشار والتداول . فثمة قيم انسانية اساسية مشتركة بين كل الفضاءات الثقافية والدينية في العالم، مثل: العدالة، التســامح، التعاون. واحاســيس مثل: الالم، الاحباط ، الرحمة .. وهي جزء من انســانية كل انسان.

وعندما قارن (كلود ليفي شتراوس) علاقات القرابة والأساطير عند (البدائيين) لاحظ انه ينتهي دائماً إلى نفس المشكل الأساسي ، فأستخلص ان وراء تنوع الثقافات توجد وحدة نفسية للإنسانية . كما يمكن تلمس مفهوم الكونية في الفكر المادي الماركسي- من خلال التأكيد على كفاح الإنسان ووحدة المصالح في جميع البلدان .إذ ان الماركسية بتوجهاتها الكونية ربطت واقع الإنسان بظروفه الاقتصادية والاجتماعية ، بغض النظر عن الجنس والنوع واللون والمكان والزمان والمعتقد .

ومع نهاية القرن التاسع عشر- كانت المانيا من أول الدول التي احتضنت هذا الفكر الشمولي الذي امتاز بطبيعته (الكلانية) أو الكونية، أو النزعة إلى العالمية الكونية .(الماجدي ،ص316)، كما ظهرت في اوربا تيارات فلسفية ذات نزعة كونية ساهمت في رسم ملامحها وتحديد توجهاتها شخصيات بدءً بكوبرنيكوس في علم الفلك وصولاً إلى دارون في اصل الاشياء ، ونيتشه في الفلسفة وفرويد في علم النفس ، ومثلت نقلة كونية كبرى شملت الإنسانية كلها .

بعد الحرب العالمية الثانية اصبح من الواضح ذلك التداخل الكبير الحاصل بين مختلف مناحي الحياة الاجتماعية منها والاقتصادية والسياسية في عملية التأثر والتأثير وانعكاس كل ذلك على الفرد والجماعة على حد سواء . صاحبها تطور في المجال العلمي والتكنولوجي الاتصالي قرب المسافات المتباعدة ، وفتح افاقاً جديدة لحرية انتقال الافكار ومحاورة الآخر.

ويرى الباحثان ان هناك عوامل كثيرة على صعيد التقدم الحضاري ساعدت على ظهور مفهوم الكونية بشكل واضح منها بروز مفكرين على مستوى الوعي الانساني في مجالات الفلسفة والآدب والفن والاقتصاد والاجتماع .. مما ادى إلى فتح الباب أمام التلاقح الفكري بين الحضارات والمجتمعات الانسانية عبر احتواء رأي الآخر او النظر إليه على اساس تشكل المجتمع الانساني الذي لاتقف الحدود حائلاً امامه ، يضاف الى ذلك تطور التقنيات الاتصالية ووفرتها وانتشارها وخلق عالم من التواصل على كل المستويات الانسانية .

المبحث الثاني:

ملامح النزعة الكونية في الفنون التشكيلية العالمية المعاصرة

ان محاولة التعرف على اتجاهات التفكير الجديد في المجتمعات الغربية على وجه الخصوص بوصفها صاحبة الثورة التكنولوجية ، التي اجتاحت أرجاء العالم نتيجة التطور التقني وتنامي رؤوس الأموال والثورات الاتصالية وما آلت إليه أنماط التحول التي تعيشها تلك المجتمعات ، توجب على الباحثين ان يتناولا (ما بعد الحداثة) بكل ما تحمله من رؤى مختلفة وبوصفها الممثل الحقيقي لحركة التغيير الذي أصاب الفن التشكيلي عبر مراحله المتعددة وصولاً إلى فن يقطع الصلات بكل ما يمت للتاريخ من صلة مستغلاً التطورات التكنولوجية ليحقق انتشاراً واسع النطاق شمل العالم بأجمعه . فما بعد الحداثة مصطلح يضم مجموعة من الأفكار التي برزت في الحقل الاكاديمي ، ومن الصعب تحديد تعريف دقيق لهذا المصطلح ، كونه يظهر كمفهوم جديد في عدد واسع من مجالات الدراسة مثل: الفن ، والعمارة ، والموسيقى ،والأدب وعلم الاجتماع ، والاتصالات ،والموضة ، والتكنولوجيا . كما ان من الصعب تحديد المصطلح زمانياً ومكانياً فليس هناك تاريخ دقيق واضح يؤرخ لبدء ما بعد الحداثة . فقد استخدم مصطلح ما بعد الحداثة لنزعات مختلفة متعددة ، وأصبحت معانيه اقرب إلى تقاليد الفن(Jenk،P 7) . وفي عام (1976) وظف المصطلح للإشارة إلى الفنانين والكتاب والفلاسفة الذين أكدوا على الانفصال عن التقاليد ، وعرض كل ما هو جديد وفريد من الفن في أعمالهم (شيرزاد ،ص191). فقد ارتبط مصطلح (مابعد الحداثة) بظهور شكل جديد من أشكال الحياة الاجتماعية والاقتصادية الجديدة .. ذلك " ان ما بعد الحداثة امتاز ببزوغ ثقافة كونية وهمية اتصلت بالرأسمالية الاستهلاكية متعددة القوميات ، إذ بنيت أسسها على التنوع والاختلاف والتشظي والتفتت .(زيادة ،ص17)، لتُظهر شكل من أشكال الثقافة المعاصرة وكأسلوب في الفكر يبدي ارتيابه بالأفكار والتصورات الكلاسيكية كفكرة الحقيقة والعقل والهوية والموضوعية والتقدم والأطر الأحادية . "فهذا

الأسلوب بالتفكير راجع إلى شكل جديد من الرأسمالية وعالم التكنولوجيا والنزعة الاستهلاكية وصناعة الثقافة في عالم سريع التبدل والزوال بعيد عن التمركز."(ايغلتون ،ص52) ، ويرى (دانيال بيل) ان ما بعد الحداثة ترجع إلى هيمنة الثقافة الكونية في النصف الأخير للقرن العشرين مما أدى الى اندحار الأخلاق الدينية وتقدم الثقافة بالمرتبة الأولى في تأثيره على المجتمع حيث تحول الاقتصاد إلى تابع يشبع الحاجات الثقافية الجديدة .. فلم تعد التقاليد الدينية قوى مسيطرة بل أضحى الأمر موكل لوسائل الإعلام والتقنية والسوق التي تزخر تحت وطأة الرموز والمعلومات والخبرات.(الشيخ ،ص29)، ادت الى ظهور ملامح شكلية جديدة في الثقافة ، انحسرت معها مفاهيم الانعزال والفكر الاحادي . لقد أصبح الفن تبعاً لذلك منفتحاً على كل الثقافات في العالم وبلا هوية محددة وهو ما أكده (جاك دريدا) في مشروعه التفكيكي فلم يعد الدال يشير إلى مدلول وهو ما قاد في السنوات اللاحقة وأدى إلى فتح العلامة ، وتحويل النص / اللوحة إلى سلسلة من الدالات تتعدد فيها القراءات وفق تعدد مستويات التلقي . لقد بدأ الفن مع هذا الواقع أكثر تفتحاً وتنوعاً ، وأكثر قابلية لاستيعاب مختلف الآراء الفنية المعاصرة ، وبدا يتحول من ظاهرة أوربية قبل الحرب العالمية الثانية إلى حركة عالمية واسعة الانتشار بعدها . كما استخدمت تقنيات وتجارب أزالت الفاصل بين فن الرسم والنحت ، بل بقية الفنون الأخرى، ولم يعد التشكيل بالمعنى التقليدي للكلمة يمارس بحسب ما تقتضيه المفاهيم الفنية السابقة وبطلت بالوقت نفسه ، الوسائل المرتبطة به ، كالدراسات الأولية التحضيرية ، وقوانين التأليف ، لتأخذ مكانها طرق جديدة في التعامل مع المادة التي أتيحت لها مجالات الانفلات والتحرر من قيود المراقبة وإتباع قوانينها الخاصة . والاشتغال الكيفي الحر ضد كل ما يمت بصلة للماضي القريب جداً مما قاد إلى خلخلة القيم الجمالية السابقة ، ومحاولة خلق قيم فنية جديدة تستقي مفرداتها من واقع الحياة الراهنة ، بعيداً عن اي مرجعيات تاريخية او دينية تحد من حرية الانسان في التعبير عن نفسه . وقد سعى الفنانون إلى ربط الفن بالحياة الراهنة ، إذ قاموا باستخدام كل أنواع المواد في أعمالهم ، وبذلك " تم كسر الحدود الفاصلة بين الفن والحياة الشعبية البسيطة ، من خلال تبني الأشياء البسيطة والرموز والعلامات التي يتعامل بها الإنسان في كل مكان يومياً ، برفيعها ومبتذلها ، كعلب الطعام ، قناني الكوكاكولا ، إلى صور الشخصيات السينمائية والفنية المعروفة والمشهورة على المستوى الكوني أمثال (الفيس برسيلي)* و (مارلين مونرو)** لكي تكون لها قدرة أعلى على التداول والاستهلاك.(المشهداني،ص145) إذ أصبح الفن يبحث عن أساليب وطرق جديدة ، وتثير الدهشة وتولد صدمة لدى المتلقي ، بما تحمله من أفكار ورموز ودلالات مختلفة ، تطمح إلى التحرر من القيود الاجتماعية والثقافية ، والتخلص من كل أشكال التقليد ومحددات الهوية .

المبحث الثالث :

الفن التشكيلي العراقي بين الكونية والخصوصية

لم يكن الرسم العراقي المعاصر في بداية تشكله على علاقة بما بدور من احداث في العالم ، بل حاول الفنانون الاوائل وفي مقدمتهم (عبد القادر الرسام ، ومحمد سليم ، وعاصم حافظ ، ومحمد صالح زكي) محاكاة المرئيات والأشياء في الطبيعة وتطبيق قواعد الرسم التقليدي ، بحدود حرفية النقل الواقعي بعيداً عن أي مغامرات سواء في اللون او الشكل او المعنى ، ولم تكن هنالك بوادر للاهتمام بفلسفة معينه او الاقتداء بمدرسة فنية محددة ، حتى" شهد الفن التشكيلي العراقي تحولاً هاماً في ثلاثينيات القرن الماضي كان من نتائجه ان انعكس على طبيعة حركة الرسم في العراق، هو تخصيص الدولة العراقية منذ عام 1930 ميزانية متواضعة لارسال البعثات الفنية لدراسة فن الرسم والنحت في اوربا "(الراوي ،ص41) وتبع ذلك ارسال (فائق حسن) إلى باريس ، و(عطا صبري وحافظ الدروبي) إلى روما وتبعهم (جواد سليم) إلى باريس سنة 1938. وتوالت بعد ذلك البعثات والرحلات الفردية والجماعية لهؤلاء ولغيرهم من الفنانين .(سليم ،ص49) وبعد

عوده هؤلاء الفنانين متأثرين بالاتجاهات الفنية الأوربية التي كانت سـائدة آنذاك بدأوا بنقل هذا التأثير ، وبدأت نظرة الرسام العراقي إلى الواقع بالتغير والتحول ، وأصبحوا بموقع التفاعل مع تطور الحياة ، والارتباط شيئا فشيئا بالفكر العالمي عن طريق اهتمام الفنان العراقي بالأسـاليب الأوربية وتقديس العمل الفني لذاته بعد ان كان وسـيله للتعبير عن الهواية الشخصية في رسم المناظر الطبيعية .كما شهد الفن التشكيلي في العراق في السنوات الأولى للحرب العالمية الأولى تحولاً جديداً بقدوم بعض الفنانين البولونيين (ياري توبو ، ليسكس، ماتوشال ، والاخوان هارا) كانوا قد تتلمذوا على أسلوب الفنان الفرنسي ـ (بير بونار) ، وكان لهؤلاء الفنانين الدور الكبير في تحفيز الفنانين العراقيين في البحث والتجريب وكسر ـ النماذج السابقة ، ومحاولة ابتكار آليات جديدة في انتاج العمل الفني ، عبر تحصيل الخبرة ومواكبة الحركات الفنية العالمية ، "جعل من عقد الاربعينيات من القرن العشرين زاخر بذلك المزج بين الأفكار والأشكال التي كانت تستقي من مصادر محلية وعالمية او بمزجها الاهتمامات المحلية السائدة بالاتجاهات الأجنبية المعروفة آنذاك."(يوسف، ص92) ، كما بدأ جيل الخمسـينيات بالكف عن الرؤية السـطحية للأشـياء ، مع عودة جملة من الفنانين الموفودين إلى ارض الوطن ، أقيمت التجمعات الفنية ، وعملت كل منها على فتح الباب واسـعا لحرية التجاوز وكسر ـ الرؤية التقليدية والاندماج بما يحدث في العالم من تطورات في مجال الفكر . وهو ماقاد الى احداث تغيرات كبيرة في بنائية اللوحة التشـكيلية العراقية، وان ينهضوا بالفن إلى مرحلة جديدة مواكبة لما يجري في العالم من أحداث ومتغيرات ، من خلال كسر ـ الشـكل النمطي للوحة التشـكيلية نحو رؤية أكثر وعياً بما يدور بالعالم من احداث، وما يجري من تقلبات الرسم العالمي . فقد أعلن مجموعة من الفنانين ضمن (جماعة بغداد للفن الحديث) عام 1951بزعامة (جواد سـليم) في بيانهم :" انهم لا ينفصـلون عن ارتباطهم الفكري والأسـلوبي بالتطور السـائد بالعالم "(ال سـعيد،ص76) . وقد شرع (شـاكر حسـن ال سـعيد) مبكراً لتبني ما أفرزته فنون الحداثة الأوربية إذ عمد في بعض لوحاته الى تجزئة الكلمات وتفكيك الاشـكال ، وتمويه الحروف داخل اللوحة (شكل1) . ومع ازدياد حركات التحرير في داخل العراق وخارجه في عقد الستينيات والتي كان لها انعكاساتها في كل المجالات ومنها الفن ، وتركت تاثيراً واضحاً في فكر ووعي هذا الجيل ، وبات على الفنان ان يبحث عن شـكل آخر للفن . فقد اخذ جيل السـتينيات على عاتقه محاولة مواكبة النقلات والطفرات التي يمر بها العالم ، سـواء في مفهوم العمل الفني او في آليات اشـتغالاته الجديدة، والانفتاح على مظاهر التعبير المختلفة ، ومواكبة ما يسـتجد في العالم من تطورات على مسـتوى الشـكل والمضمون وطرق وتقنيات الرسم .وهو ماعمد فيما بعد لظهور تجارب فنية متفاوتة ما بين الاختزال النسـبي إلى التجريد المطلق ، جاءت بفعل مؤثرات خارجية كالأحداث العالمية والعربية والمحلية فضـلاً عن هيمنة الاتجاهات الأوربية وانتشـارها في العالم . وهذا ما نجده متمثلا في تجربة سـالم الدباغ الذي اعتمد الرؤية التجريدية " فهو يعالج معظم أعماله أو يقسـمها إلى مربعات ومسـتطيلات تشـطرها خطوط مختلفة تعبر عن الروية المعاصرة في معالجة الشكل تجريدياً ، و ميل الفنان إلى الابعاد الهندسية والأشكال المحاصرة بالمساحات والفضاء ، وربما يعبر عن الإنسان المحاصر بالتكنولوجيا ، الإنسـان الذي لم يعد شـيئا بين الأشـياء الأخرى"(كامل،ص414) (شـكل 2) . لقد حاول الفنان البحث عن معطيات أكثر حرية في التعبير ، والغاء المعنى ، وعدم الإفصـاح بشيـء ، والميل إلى التغريب وتمويه الهوية وتقويض المكان ، وهو ما يؤشر جزء من ملامح النزعة الكونية في تقويض مفهوم المكان والهوية والتعبير عن الإنسـان الكوني مما يحمله من قلق مسـتمر إزاء ما يحدث في العالم بطريقة تقترب من العبث وتؤدي حضـور اللامعنى واللاهوية واللااستقرار.كما ونجد لنصوص (محمد مهر الدين) ارتباطاً بالتجريب والبحث الدائب عما هو جديد وعن قلق مستمر إزاء اللوحة والأفكار وما يحدث من إزاحات قيميه كبيرة في العالم ، فعبر تجارب متعددة مميزة حاول تصـوير العالم الخارجي بكل تناقضاته معتمداً على الحرية في التعبير عن الأفكار الإنسانية ،لتصبح اللوحة معه مساحة تتناثر فيها الأشكال والمساحات

اللونية، والرموز والأحرف الانكليزية المتداخلة،لينفتح فضـــاء اللوحة نحو مديات بعيدة دون الافصـــاح عن معنى محدد (شكل3) . كما اتسمت مرحلة السبعينيات بطابع الانفتاح الكوني والرغبة في التغيير ، والتي شملت في الغالب أسلوب العمل وتقنياته إذ ابتعد الفنانون عن المألوف والنمطية والتقليد ، مستخدمين أساليب وتقنيات معاصرة ومستحدثه تواكب روح العصر ، وهذا ما نلحظه في أعمال (هاشم سمرجي) إذ استطاع ان يوظف التجارب العالمية في الفن البصري ضمن موضوعات جديدة تبتعد عن اساليب الرسم المعتادة . فمن يشاهد اعماله يشعر انه من أتباع (فازاريللي) تقنية وأسلوباً ، لتشـكل تجاربه الفنية جزءً مهما من فناني ما بعد الحداثة في العالم ولينفتح باعماله على مفهوم الكونية في الفن. (شـكل 4). ومنذ بداية عقد الثمانينيات قدم (فاخر محمد) تجارب متوالية تنفتح بفضـاءاتها على مايدور في العالم من مسـتجدات على المستوى التنظيري وعلى المستوى التقني ، ليرسم بحرية غير مقيدة ، دون ان يلزم نفسه بمقاييس فنية محددة . (شكل 5). ومع بداية العقد التسـعيني غادر العراق عدد كبير من الفنانين ، غير انهم اسـتمروا بتقديم أعمالهم الفنية ومعارضـهم الشـخصـية في أماكن متعددة من العالم . ومن هذه التجارب ما قدمه (مظهر احمد)*** من أعمال تعتمد على آليات عمل جديدة في كسر سكونية الموضوع والانفتاح على مفاهيم وتأويلات جديدة ، نحو اللامحدود واللاتحديد واللاثبات والا هوية ، وهي من مسميات بدأت بالتداول بشكل كبير في الفنون بالعالم . (شكل 6) .

ويرى الباحثان ان مسيرة تاريخ الفن التشكيلي العراقي المعاصر على اختلاف مراحله حاول ان يستلهم روح العصر وان يكون جزءً فاعلاً من حركة الفن التشكيلي في العالم . وهو ماتؤكده التجارب المتأخرة للفن التشكيلي العراقي المعاصر سـواء كانت هذه التجارب داخل العراق أو خارجه ، إذ انها كثيراً ما كانت تحمل ملامح كونية ، على مسـتوى التقنية والأسلوب وعلى مستوى الشعور بالإنسان الكوني في كل مكان . خاصة بعد التقدم الهائل في مجال التكنولوجيا الاتصالية التي حولت العالم الى قرية كونية صغيرة. .

مؤشرات الإطار النظري

1ـــ هناك حتمية للاتصال والتفاعل بين مختلف الحضارات والثقافات في كل مكان ، ازدادت وتيرتها مع تزايد وانتشار وسائل الاتصال ، فالعالم يتجه لكي يصبح موحداً في ظل ثقافات تتحاول فيما بينها بشكل يومي .

2ـ لم يعد المكان الممثل بالدولة الوطنية ، مكاناً مغلقاً يمتلك خصوصية معينة ، بل اصبح مجالاً مفتوحاً لتفاعلات ابعد من النطاق المحدود ، بفعل التطورات التكنولوجية في مجال الاتصال .

3ـــ يرى (دانيال بيل) ان التقاليد الدينية لم تعد قوى مسيطرة في عالم اليوم ، بل أضحى الأمر موكلاً لوسائل الإعلام والتقنية والسوق .

4ـــ يؤكد (جاك دريدا) في مشروعه التفكيكي على ان الفن بلا مركز ولاقاعدة ، وبلا هوية ، ومنفتح على كل الثقافات في العالم .

5ـــ بدأت نظرة الفنان التشكيلي العراقي بالتغير والتحول ، وأصبحوا بموقع التفاعل مع تطور الحياة بعد عودة مجموعة من الفنانين من البعثات متأثرين بالاتجاهات الفنية والاساليب الاوربية.

6ـ شكل قدوم مجموعة من الفنانين البولونيين الى العراق بعد الحرب العالمية الاولى ، حافزاً للرسام العراقيفي النظر بمنظار جديد في الأسـلوب واللون ، والبحث والتجريب وكسر النماذج السـابقة ، ومحاولة ابتكار آليات جديدة في انتاج المنجز الفني .

7ـــ ساهم جيل الخمسينيات في العراق في النهوض الى مرحلة جديدة مواكبة لما يجري في العالم، إذ أعلنت (جماعة بغداد للفن الحديث) والتي تضم مجموعة من الفنانين يتزعمهم (جواد سليم) عام 1951 في بيانها انهم لا ينفصلون عن ارتباطهم الفكري والأسلوبي بالتطور السائد بالعالم.

8ـــ اعتمد الفنان التشكيلي العراقي بعد جيل التسعينيات ومارافقها من هجرة خارج العراق ، آليات عمل جديدة في كسر سكونية الموضوع والانفتاح على مفاهيم جديدة ، نحو اللامحدود واللاتحديد واللاثبات واللاهوية ، وهي من مسميات بدأت بالتداول بشكل كبير في الفنون بالعالم.

الدراسات السابقة : لقد اطلع الباحثان على ما توفر لديهما من الدراسات السابقة التي تقترب من مديات وأهداف البحث الفكرية والمعرفية والتطبيقية ، فلم يعثرا على دراسة سابقة بخصوص موضوعة الكونية في الفن التشكيلي العراقي المعاصر .

إجراءات البحث

أولا :- مجتمع البحث :

نظراً لسعة مجتمع البحث والذي تعذر حصره احصائياً ، قام الباحثان بتحديد مجتمع البحث الحالي ب (35) انموذجاً لاعمال تنتمي الى المدة الزمنية ضمن الحدود التي غطاها البحث (1990-2010) ، بعد ما اطلع الباحثان على ما منشور من مصورات الأعمال الفنية والتي تتعلق بمجتمع البحث والمحدد دراستها بحدود موضوعة ملامح النزعة الكونية في الفن التشكيلي العراقي المعاصر ، فضلا عن الاطلاع على ما موجود في مواقع الفن على شبكة الانترنت والإفادة منها بما يغطي حدود البحث ويحقق هدفه .

ثانيا :- عينة البحث :

اختيرت عينة البحث الحالي بطريقة قصديه ، وقد بلغت (4) نماذج لأعمال فنية بعد ان صنفت وفق تسلسل زمن ظهورها وقد تمت عملية الانتقاء وفق المبررات الآتية :-

1ـ تباين النماذج المختارة من حيث أساليبها والتقنيات والخامات المستخدمة .

2ـ إمكانية الإحاطة بالمنطقة المفاهيمية المعرفية لآليات اشتغال النزعة الكونية .

3ـــ اخذ الباحثان عند اختيار عينة البحث بآراء بعض من ذوي الخبرة والاختصاص**** لغرض التثبيت من مدى ملائمتها لهدف البحث.

ثالثا :- أداة البحث :

اعتمد الباحثان على ما أسفر عنه الإطار النظري من مؤشرات بوصفها مجسات أدائية تسهم في تحليل عينة البحث.

رابعا:- منهج البحث :

اعتمد الباحثان المنهج الوصفي، بالطريقة الوصفية التحليلية، لتحليل عينة البحث وبما ينسجم مع طبيعة البحث وفقاً للخطوات الآتية: 1. وصف عام لعينة البحث 2. الوقوف على آليات اشتغال النزعة الكونية والبحث عن ملامحها في المنجز (العينة).

خامسا :- تحليل عينة البحث

أنموذج (1)

اسم الفنان : محمد الشمري

اسم العمل

سنة الانتاج : 1996

القياسات : 60×35 سم

مادة العمل : مواد مختلفة

يأتي المنجز الفني الحالي في سـياق الفن المفاهيمي والذي يعتمد الفكرة كنتاج جمالي إبداعي ، فالفنان يبتعد في عمله هذا عن القيم الفنية القديمة ليؤسـس تجربه جديدة ومغايرة ، عبر ابتكار معالجات وتقنيات وأسـاليب تعتمد مواد جديدة طارحاً الرؤى الفنية والجمالية بطريقة كونية بعيداً عن اسر ومحدودية المرجعيات الحضارية أو أي أصول تنتمي لثقافة معينة سوى ثقافة الاسـتهلاك ، إذ يمثل العمل الحالي شكلاً بصرياً مجسما لكتاب أو محفظه قديمة بلون (الاوكر) وقد وضع على سطحها أربعة مربعات بلون اسود تحمل إشـارات معروفة على المسـتوى الكوني والتي غالباً ما توضـع على غلاف المنتجات الصـناعية الاسـتهلاكية وهي ذات مدلولات متعارف عليها بين كافة الناس بمختلف لغاتهم وانتماءاتهم الثقافية والعرقية ، ليمنح عمله هذا طابع العالمية ، ويؤكد مفارقة الهوية وغياب الخصوصية ، فالفنان يعري سطح لوحته من محتوياتها الثقيلة الا من هذه العلامات التي استلها من واقعها ليجعلها تعيش في واقع من اقتراح الفنان نفسـه ، حيث التغريب والعدمية والتشـظي والعبث واللامنطق في نسـق العلاقات التكوينية ، فالفنان هنا يعكف بذكاء على اسـتخراج مواقع الدهشـة التي يبتكرها لقاء فجائي بين أشـياء لم يكن مقدراً لها ان تنتسب إلى عالم واحد ، إذ ان بنية اللوحة لدية لا تحيلنا إلى مدى مهارة الرسامين بل انها تعطي إيحاءً بانتفاء صـفه الرسم فيها ، إذ ان الأنسـاق الفنية المتداولة لم يعد لها من وجود ، وإنما الاشـتغال بين تخوم الأنسـاق المتجاورة ، فالمواد التي اسـتخدمها الفنان في انجاز المنجز تضـعه في مكان ملتبس يقترب إلى حد كبير من منطقة ما بعد الحداثة بكل تشـظياتها وتناقضـاتها ، فعمله محملاً بالمعاني غير انها معان مختلفة في سـياق معالجتها بصرياً ، فالعمل خرج عن السـياق المتعارف والمتداول علية في الرسم كاشفاً عن ولع الفنان بالعلاقات التشكيلية المتناقضة ، واعتماده التغريب كعنصر أساسي في العمل ، وهذا ما يبدو واضحاً من خلال طريقة وضع العلامات داخل المربعات بصورة مائلة مخالفة لطبيعتها في الواقع ، فهذه العلامات انما وجدت لتحذر (الإنسان / المستهلك) من ان عليه مراعاة هذه العلامات ، فثمة شيء ما بداخل العلبة قابل للكسر ـ ويجب وضـعه بطريقة صحيحة إلى الأعلى ، وعلية ان يحفظ المحتويات بعيداً عن الأمطار والرطوبة العالية ، كما ان عليه ان لا يضـع أكثر من أربعة عبوات من هذا المنتج فوق بعضـها البعض ، اسـتثمرها الفنان بطريقة ذكية ليحولها إلى معطى جمالي تستفز ذهنية المتلقي في كل مكان ، وتدعوه إلى التساؤل عما يحتويه هذا الكتاب أو المحفظة من أشياء ، وفق لعبة الحضـور والغياب ، التجلي والخفاء ، فتحاشى الفنان في بنية لوحته ان يسـتعين أو ان يوظف الرموز التي تشـير إلى هوية أو مدلول ما يرتبط بالجذور التاريخية او التراثية ، لذا غدت بنية النص مملوءة بالإشـارات التي ينقلها من الواقع وليوظفها بصـورة جديدة يفقد فيها لدال دلالته الأصلية ، فمن خلال ما تقدم يمكن ان نتلمس ملامح النزعة الكونية من خلال محاولة الفنان إحداث صدمه لدى المستقبل ، فقد غذى منجزه الفني بما يستعيرة من فتات الحياة والتي لا يكاد

يلتفت اليها احد جالباً الهامشي نحو المركز ، ليعلن عن تسطي الهوية وغياب المدلولات والرموز ذات الطابع المحلي مؤكدا على مبدأ الزوال والعبث والانزياح الذوقي والإبداعي الذي وصل إليه الإنسان في العصر الراهن (عصر الاستهلاك) .

أنموذج (2)
اسم الفنان : ايمان الشوك
اسم العمل : وجه انسان
سنة الانتاج : 1998
القياسات : 60×45 سم
مادة العمل : خشب مضغوط

استطاعت الفنانة من خلال هذا العمل ان تخط لها مساراً مغايراً في التشكيل العراقي عامة والنسوي خاصة ، بعيداً عن اقتفاء أي اثر محلي سابق إلا من خلال ما يترشح من مشاهدة وقراءة المنجز بحد ذاته ، ليعبر المنجز عن فهم عميق لما يستجد من تنظير فني على المستوى الكوني ، فقد اعتمد على مبدأ التراكب والتباين في الأسطح أو الشكل المنحوت الذي يتمظهر على هيئة وجهه أو قناع نفذ من خامات الفايبر والخشب المتكسر وبطريقة عشوائية والتعمد بإهمال التشذيب والتهذيب لنهايات الأجزاء أو الأطراف للعمل وتركيبه بطريقة جديدة لا تخلو من العبثية، فقد تعمدت الفنانة في بعض المناطق إلى حفر سطحها المكون من أشكال رمزية للإنسان لتخرق الأزمنة وتعبر الحواجز عبر هذا التشكيل ، كما وإنها لم تكتفِ بلون الفايبر والخشب نفسه بل عمدت إلى إضافة مكملات لونية في بعض المناطق طبقاً لحاجة الشكل وبما يخدم المضمون المبتغى ، فبنية العمل تزاوج بين فن التجميع النحتي وبين فعل الرسم وتقنياته من تلوين وحك وتحزيز ، وهي تقنيات وأساليب باتت معروفة على المستوى الكوني ، من خلال محاولة التوفيق بين آليات الرسم والنحت . لتخترق المنجز السياق الواقعي في تصوير وجه الإنسان وآلامه فغربت من طبيعة الملامح الواقعية للوجه وليتحول إلى أيقونات صورية يمكن إدراكها من بنية الشكل الكلية ، فالوجه يحمل ملامح إنسانية دون الإشارة إلى إنسان معين يحمل هوية محددة أو ثقافة معينه ، بل حاولت ان تبتعد عن المحددات التي ترسم الهوية كالملابس والإكسسوارات والرموز وحتى الملامح التي قد تتسبب إلى منطقة جغرافية أوبلد معين ، بل عبرت عن الإنسان الكوني بكل آلامه وإنسانية عالية .فالفنانة أرادت بهذه المزاوجة بين آليات الأجناس الفنية ان تقفز على التخصصات الجزئية ونزوعها نحو التوليف الرمزي الذي سيكون دلالياً في النهاية ، والرغبة في تصيير اللوحة المرسومة ظاهرة تجمع منها الموجودات والأساليب وطرائق الاشتغال لخدمة السطح التصويري، فإدخال مواد جديدة مختلفة عرضية مهمشة كوسيط للتعبير عن أفكار وتقديم منجزها الفني وتفكيكها للكتل ومحاولة تركيبها بطريقة جديدة مبتكرة ، وجعل النص الفني أكثر ارتباطاً بواقع الإنسان الكوني المتشتت والتائه بين الماضي والحاضر حيث اللازمان واللامكان ، لتسجل حالة القلق والاستلاب والتشيؤ الذي يعتريه ويعاني من إنسان العصر ـ التكنولوجي الحاضر والمغرب عن واقعه الراهن، وذلك بالافادة من الطروحات المفاهيمية والفنية لما بعد الحداثة فكل شيء ممكن ان يكون فنا بإدخال مواد لم تكن شيئاً يذكر إلا على إنها نفايات أو مهملات لتدخل دائرة الاهتمام بوصفها جزءً أو كلاً في إنتاج العمل ، فتلك التجنيسات الأسلوبية والتقنية ما هي إلا انعكاس لما وصل إلية الفن في العالم ، وهذا ما جعل من العمل ذا ملامح كونية يعبر فيه عن الإنسان الكوني الذي يعاني من التشتت والضياع في كل مكان.

أنموذج (3)
اسم الفنان : سلام عمر
اسم العمل :
سنة الانتاج : 2004
القياسات : 100×100×100×10 سم
مادة العمل : خشب ومواد مختلفة

تبنى الفنان بجهد ومثابرة في ترسيم حدود محاولاته وتعميق مسارات وعيه ، بما كان يصبو ويسعى لإيجاد بدائل نفسية لذلك المحيط اليومي الحياتي والدفاع عما أصاب الحضارة والحياة الإنسانية من تصدعات وانهيارات وحروب سببها الإنسان نفسه ، فالفنان اشتغل في رسم خارطة القلق والهواجس التي تعتريه من خلال بنية المنجز الفني ، فقد تكون العمل من قطعة من الخشب ذات شكل هندسي مثلث قاعدته إلى الأسفل وثمة دائرتان تخترقان جزء من جسد العمل ، فيما يترك الفنان للمتلقي إكمال رسم الدائرة في ذهنيته والتي يمتد جزئها اللامرئي خارج الحدود الفيزيقية للعمل الفني ، كما ويمكن ملاحظة أربعة دوائر متراكبة وبألوان مختلفة ، فالفنان هنا حاول الخروج عن المألوف والابتعاد عنه متخارجاً بالعمل من الحداثة نحو ما بعد الحداثة متجاوزاً السائد والمتعارف عليه مخترقاً السياق الواقعي بالرسم منفتحاً على تجنيس الرسم بفن النحت محاولا اللحاق بالمستجدات التي وصلت إليها الفنون بالعالم ، فالفنان حاول ان يغذي لوحته بمواد مختلفة ومتنوعة تتخذ من الخشب مادة رئيسية في تنفيذ أفكاره وبأسلوب تصميمي ليتسم عمله بالغرائبية باتجاه تأسيس ثقافي لنواتج الرسم الحديث ومساعيه نحو فضاءات التجديد والتجريب ، والاهتمام بنتائجه الشكلية ، فقد اقترن الرسم بالنحت ومعضلاته ، وفي استعارة الأجسام والأشكال الهندسية والمعمارية ليشكل في النهاية منجزه الفني الذي تمتد مساحته خارج حدود الرسم أو حدود النحت عبر تقنيات متعددة ، كما ان العمل لا يفصح عن شيء سوى فعل التجربة ليترك للمتلقي حرية التأويل وتفسيره وفق مدركاته الحسية ، مما يمنح العمل تعدد في القراءات والتأويلات والتفكيكات في المعنى تتعدد بتعدد القراءات له ، لذا تتضح ملامح النزعة الكونية من خلال غياب المركز أو نقطة النظر المركزية وكسر الفاصل بين الأجناس الفنية المختلفة (الرسم / النحت / التصميم) مع استثمار الأشياء المتوفرة من الخشب وإلغاء المعنى المحدد الذي أزاح وقوض سلطة المعنى ، ليقود نحو تعدد القراءات وإحداث صدمة لدى المتلقي من الوهلة الأولى بالتخلي عن قواعد الرسم التقليدية المتداولة ليغدو اقرب إلى روحية مابعد الحداثة في طروحاتها الشكلية والمضامينية ، فالفنان غيب أي إشارة أو دلاله تحسب لصالح هوية أو اقنيم ثقافي معين ، بل غدا العمل معبراً عن الإنسان وهواجسه في كل مكان وزمان بوصف الفن خير معبر عن خلجات الإنسان منذ أقدم العصور ، وبهذا نجد ان العمل شمل بالتعبير تجربة إنسانية يمكن ان تمثل الإنسان الكوني وفي كل مكان .

أنموذج (4)
اسم الفنان : فاخر محمد
اسم العمل : جسر الحلة
سنة الانتاج : 2010
القياسات : 2×4 م
مادة العمل : مواد مختلفة

سعى الفنان إلى تجاوز الأساليب التقليدية في فن الرسم عبر محاولاته المستمرة لاكتشاف منطق جديد في الفن التشكيلي والاقتراب أكثر إلى الاندماج مع ما وصلت إليه الفنون التشكيلية في العالم ، إذ يمثل العمل الحالي أوراق دفتر متصلة ومفتوحة كبيرة الحجم مكونة من أربعة أجزاء وضعت بطريقة توحي بالحركة والاستمرارية تجمع على سطحها مجموعة أشكال وألوان تناثرت على مجمل أجزاء العمل الفني ، فقد تبنى الفنان في بنية منجزه الرؤية ما بعد حداثوية مازجا بين أجناس الفن التشكيلي المختلفة وعلى المستوى الشكلاني والمضاميني ، بدا بالتخلي عن تقنيات وأساليب الرسم التقليدية عبر المزاوجة مابين جنسين مختلفين وهما النحت والرسم في سعيه الحثيث لفتح المنظومة البنائية والرؤيوية جاعلاً من النص البصري مفتوحاً وممتداً إلى ما لا نهاية بغية الوصول إلى أعلى درجات الحرية والارتباط باللامحدود والمطلق من خلال تكويناته المتحررة من قيود واسر الواقعية والمحاكاتية الحرفية جاعلاً من المنجز الفني محملاً بدلالاته وتأويلاته . إذا يحيل العمل المتلقي إلى مجموعة من الألوان والأشكال المتناثرة على السطح التصويري النحتي دون ان يكون هنالك أهمية او سيادة لشكل مهيمن على باقي الأشكال ، فأجزاء العمل متساوية من حيث الأهمية فقد صمم وفق آلية تمنح المشاهد حرية في تحديد النقطة التي يبدأ منها في قراءة العمل الفني ، ليقترب هنا من بنية الأعمال ما بعد الحداثية في تغيبها للمركز الثابت واحتفائها بالعرضي والهامشي ، منطلقا من حرية التعبير المباشر ، واستثمار فاعلية الإحالات اللاعقلانية والتحرر من سيطرة المنطق العقلي وتنظيماته القسريه ، لتكون في المحصلة أشكال وألوان وخطوط مبعثرة توزعت بتلقائية مرتجلة تبعث المتعة دون تحديد المعنى وهو ما أكدته ما بعد الحداثة ومنهجها التفكيكي بشكل واضح ومميز ، لتظهر لنا ملامح النزعة الكونية في بنية النص من خلال كسر الحواجز بين الأجناس الفنية والاشتغال على بنية التفكيك ، وتفعيل دور الهامش إزاء المركز ، واللامالوفية في صياغة التنظيم العام والتبعثر بالأشكال وفق آلية اعتمدها الفنان في كسر المنظور التقليدي والتخلي عن العمق ، مع قابلية الامتداد إلى الخارج ضمن مفهوم النص المفتوح الذي يتعدى حدود العمل مخترقا مقولتي الزمان والمكان ، مما أعطى للمتلقي الدور الكبير في تفسير هذا المنجز الفني بغض النظر عن ثقافة وأصول مرجعيات ذلك المتلقي ، فالعمل لا يحتوي دوال محددة بمنطقة معينة أو دولة معينة إنما بات يتصف بسمات كونية تفتح الباب لقراءات متعددة .

النتائج

أولاً : النتائج ومناقشتها

1ـ خرج الفن التشكيلي العراقي من نظام الشكل الكلاسيكي الذي يفترض وجود مركز من داخل اللوحة ، إلى شكل جديد يشتغل وفق مفاهيم كونية تتعدد فيها نقاط الجذب البصري وتتعدد فيه البؤر المركزية ، مما سجل غياب المركز الثابت ، وقد ظهر ذلك واضحاً في جميع عينة البحث.

2-اظهر تحليل العينات ملامح كونية في اشتغال الفنان التشكيلي العراقي المعاصر على ما جاءت به التفكيكية من أفكار، وظهرت آلياتها في بنية المنجز البصري من خلال تفكيك الكتل وانتشار اللون والميل إلى التشتت والتبعثر في الخط والشكل، وقد ظهر ذلك في جميع عينة البحث.

3-من ملامح النزعة الكونية هو محاولة اقتراب الفنان التشكيلي المعاصر من ما جاءت به بعض اتجاهات فن ما بعد الحداثة وعلى وجه الخصوص ، الفن المفاهيمي عينة (1) والفن الشعبي (2) والفن البيئي عينة (4) .

4-ابتعد الفنان التشكيلي العراقي المعاصر عن تضمين عمله إشارات ورموز محلية عبر خلق أشكال مغربة، وانتقاء الشكل المتقطع وتوظيفه ضمن علاقات تحمل تجربة الفنان الإنسانية وعلاقته بالآخر مما شكل إحدى ملامح النزعة الكونية كما في العينة (1، 2، 3).

5-عمد الفنان التشكيلي العراقي المعاصر إلى مبدأ التجنيس والذي يعد من سمات ما بعد الحداثة باشتغاله على أكثر من جنس فني في العمل الواحد مثل الرسم والنحت والتصميم وقد ظهر ذلك في العينة (1، 2، 3، 4)، مما يؤكد ارتباط الفنان بما وصلت إليه الفنون في العالم من أفكار جسدها في لوحته على مستوى الشكل والتقنية والأسلوب.

6-ارتباط الفنان العراقي بمحيطه الكوني من خلال التعبير عن القلق والتمزق والاغتراب الذي يعاني منه انسان العصر الحديث بفعل التطور التكنولوجي الذي جذب الانتباه على حساب الاهتمام بقضايا الانسان ليعبر الفنان عن محنة الإنسان بكل مكان وتجسيد ذلك بنماذج العينة (1،2)

7-تفعيل دور الهامش الذي شكل إحدى الآليات التي ظهرت في تحليل العينات وهو إحدى ملامح النزعة الكونية في إعطاء الحق للجزء (الثقافات المحلية) لتنصهر بالكل (الثقافة الكونية) ، وهذا ما نلاحظه بالعينة (1 ، 3 ، 4) .

8-حرص الفنان التشكيلي العراقي المعاصر على استثمار الأشياء المتوفرة والمواد غير التقليدية في الفن التشكيلي في تقديم منجزه الفني والتي تعد مهمشة ومهملة وجاهزة مثل المحفظة عينة (1) والخشب المضغوط المكسر عينة (2) وهو بذلك يشكل احد الملامح المهمة التي أكدت عليها ما بعد الحداثة باستخدامها ما كان زائلاً ورخيصاً وعرضياً للتعبير عن ثقافة الاستهلاك .

9-حرص الفنان التشكيلي العراقي المعاصر على تفكيك سلطة النص وإلغاء المعنى المحدد مما يمنح العمل طاقة تأويلية عالية يدخل المتلقي طرفاً مهماً في عملية إنتاج المعنى وهو أحد ملامح النزعة الكونية في تأكيدها على المتلقي العالمي والتقليل من أهمية الفنان الذي قد تختفي هويته المحلية لصالح عمل ذات ملامح كونية يحمل سمات إنسانية وتجسد ذلك بنموذج العينة (1، 2،3).

10-اشتغل الفنان التشكيلي العراقي المعاصر على مفهوم النص المفتوح وفق آلية تعتمد على مغادرة العالم الحسي- المحدود بالصيغ المكانية والزمانية مع قابلية الامتداد إلى خارج الأبعاد الفيزيقية للعمل الفني، وقد ظهر ذلك واضحاً بنماذج العينة (1، 2، 3 ،4) مما شكل إحدى ملامح النزعة الكونية في الفن التشكيلي العراقي المعاصر.

ثانياً: الاستنتاجات

1ـ مهدت وسائل التواصل وتقنيات الاتصال المختلفة للفنان التشكيلي العراقي المعاصر في داخل العراق للارتباط بما يدور حوله من مشكلات وأفكار، وبالتالي التعبير عنها باعتبار الإنسان هو الإنسان في كل مكان.

2ـ منح التجريب وفق الطروحات الكونية الفنان التشكيلي العراقي المعاصر فرصة أكبر للشعور بالحرية وإعطاءه مساحة أوسع في تخطي كل الأعراف والتقاليد السائدة والإتيان بالغريب والمهجن والعرضي وفق آليات اشتغلت عليها اتجاهات الفنون العالمية.

3ـــ لم يكن الفنان التشكيلي العراقي المعاصر بمنأى عن مستجدات الفنون في العالم خاصة بعد تطور آليات اتصاله بالمجتمعات الأخرى عبر وسائل الاتصال التي منحت فرصة مشاهدة فنون العالم بسهولة بالغة عن طريق القنوات الفضائية وشبكة المعلومات العالمية (الانترنت).

4ـ عمل الفنان التشكيلي العراقي المعاصر على امتصاص صدمة التحولات الاجتماعية والسياسية من نكسات وحروب وانعزال الذات مما قادهم إلى الرغبة في تغيير نمط التداولية في الرسم الحديث باقتراح أشكال جديدة وفق آليات نبذ المركز والاحتفاء بالهامشي واليومي.

5ـــ أصبح الفنان العراقي يسعى إلى البحث عن كل ما هو جديد وعدم الاكتفاء بالتقليد أو الاجترار ضمن أسلوب أو طريقة أو تقنية معينة بل سعى الفنان التشكيلي العراقي المعاصر إلى ابتكار آليات اشتغال جديدة تمنحه سمة العالمية وذلك عن طريق إيجاد فن يبتعد عن ما هو سائد في العراق ويقترب عما هو سائد في العالم المتحضر.

6ـــ رغبة الفنان التشكيلي العراقي المعاصر في الاطلاع على الثقافات الاخرى والامتزاج بكل ماهو كوني، من خلال عملية التواصل مع إبداعات الشعوب، والتفاعل بمرونة مع الآخر وما يحمله من معطيات تعبر عن إنسانية الإنسان.

7ـ لم يبتعد الفنان التشكيلي العراقي المعاصر عن هويته المحلية، بقدر ما حاول ان يكون جزء من هوية إنسانية عالمية تعبر عن الإنسان في كل مكان ، والارتباط بمستجدات تجري على المستوى الكوني والتعبير عنها بوصفه جزءاً من هذا الكون ويتأثر بما يدور حوله من إحداث .

8ـــ خرج الفنان التشكيلي العراقي المعاصر عن عزلته بعد الانفتاح الكبير الذي رافق تطور وسائل الاتصال، ليطلع على تجارب الشعوب الأخرى، مما مهد إلى إمكانية تقبل الآخر ووحدة القضايا التي تحفل بها مسميات الحرية ، الإنسان ، الديمقراطية ...الخ .

ثالثاً: التوصيات

1-تكثيف الإصدارات والمطبوعات والمجلات التي تهتم بالمفاهيم والمصطلحات المعاصرة وتطبيقاتها في مختلف الفنون ، عن طريق ترجمة البحوث الأجنبية للطلاب من دارسي الفن للتواصل مع مستجدات الفن العالمي المعاصر .

2-ضرورة اطلاع دارسي الفن والجمال والنقد الفني لما انتهت إليه الدراسة الحالية من نتائج تفيد معرفة حركة ومسار الفن التشكيلي العراقي المعاصر وما وصل إليه ارتباطه بالفنون العالمية .

3-استحداث مادة تعنى بالفنون حول العالم على مستوى الدراسات الأولية والعليا في كليات الفنون الجميلة .

رابعاً: المقترحات : استكمالاً لمتطلبات البحث الحالي يقترح الباحثان دراسة الآتي :-

1-ملامح الفن التشكيلي العراقي المعاصر في ظل ثقافة العولمة .

2-ملامح الفن التشكيلي العراقي المعاصر للمدة من (2003 – 2015) .

المصادر

1ـ إبراهيم ، زكريا: دراسات في الفلسفة المعاصرة، مكتبة مصر، دار مصر للطباعة،ب ت.

2ـ أمهز ، محمود : فن التصوير المعاصر (1870 – 1970) ، دار المثلث للتصميم والطباعة والنشر ، بيروت ، 1981.

3ـــ أيغلتون ، تيري : أوهام ما بعد الحداثة ، ت : ثائر ديب ، سلسلة بوعلي ياسين ، دار الحوار للنشر والتوزيع ، 2000.

4ـ بهنسي ، عفيف : الفن الحديث في الأقطار العربية ، اليونسكو ، 1980.

5ـ البستاني ، فؤاد افرام : منجد الطلاب ، ط2 ، دار الشرق ، بيروت ، 1986.

6ـ حرب،علي:الماهية والعلاقة نحو منطق تحويلي،المركز الثقافي العالمي،الدار البيضاء، 1998
7ـ جماعة من كبار اللغويين العرب : المعجم العربي الأساس ، دار الشرق ، المنظمة العربية لاروس ، بيروت ، 1989.
8ـ الرازي ، محمد بن أبي بكر بن عبد الفتاح : مختار الصحاح ، دار الرسالة ، الكويت، 1982.
9ـــ الراوي ، نوري : حركة الفن العراقي في أيامنا الأولى ، ع4 ، مجلة المثقف العربي ، وزارة الإعلام ، السنة الثامنة ، بغداد ، 1971 .
10ـــ روز ، مارجريت : ما بعد الحداثة ، تحليل نقدي ، ت : احمد الشامي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 1994.
11ـ زيادة ، رضوان جودت: صدى الحداثة ، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي ،2003.
12ـ سليم ، نزار: الفن العراقي المعاصر(فن التصوير)، مطابع وزارة الإعلام ، بغداد ، 1977.
13ـ ال سعيد ، شاكر حسن : مقالات في التنظير والنقد الفني ، دار الشؤون الثقافية العامة ، وزارة الثقافة والإعلام ، بغداد ، 1994.
14ـ ال سعيد، شاكر حسن: البيانات الفنية في العراق،دار الحرية للطباعة، بغداد، 1977.
15ـــ شيرزاد ، شيرين حسان : الأسلوب العالمي في العمارة بين المحافظة والتجديد، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد ، 1997.
16ـ الشيخ ، فتحي : الحداثة وما بعد الحداثة ، دار الفكر المعاصر ، ب . ت ، ص29.
17ـ الشيخ ، محمد و ياسر الطائري : مقاربات في الحداثة وما بعد الحداثة ، دار الطليعة ، بيروت، 1996.
18ـ الفراهيدي، أبي عبد الرحمن بن خليل احمد: كتاب العين، ج3، دار الرشيد للنشر،بغداد 1981
19ـ قمودي ، إبراهيم:العولمة والهوية الثقافية عند سمير أميس، الموقع:www.minerve.org
20ـــ كامل ، عادل : الفن التشكيلي المعاصر في العراق – مرحلة الستينيات ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، 1986.
21ـ الماجدي، خزعل:العقل الشعري، ج1 ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، 2004.
22ـ مجموعة مؤلفين : المعجم الوسيط ، ط2 ، دار الدعوة ، استانبول ، 1989.
23ـ المشهداني ، ثائر سامي : المفاهيم الفكرية والجمالية لتوظيف الخامات في فن ما بعد الحداثة ، أطروحة دكتوراه غير منشورة ، جامعة بابل ،كلية التربية الفنية ، 2003.
24ـــ يوسف ، هاني حنى : الملامح المميزة في الرسم العراقي المعاصر ، رسالة ماجستير غير منشورة ،كلية الفنون الجميلة ، جامعة بغداد ، 1988.
(25) Jenk , Charles : The Language Of Post – Modern Architectures , Revis Enlarged Edition Academy Edition, London, 1984.

الهوامش :

(*) الفيس برسيلي Brisly : مغني بوب أمريكي شهير .

(**) مارلين مونرو Monrow : ممثلة سينمائية أمريكية شهيرة ، تعد أشهر نجمات الجنس والإغراء للسينما العالمية في منتصف القرن العشرين .

(***) مظهر احمد : فنان عراقي مغترب ، تخرج من معهد الفنون الجميلة في بغداد عام 1979، أكمل دراسته في دارشو عام 1986 ، أقام ستة معارض مهمة بالسويد وبولونيا والنروج ، ويدرس حالياً في مدينة فالون السويدية حيث يسكن .

(****)1ـ أ.د. فاخر محمد حسن ، رسم ، فنون تشكيلية ، كلية الفنون الجميلة / جامعة بابل .

2ـ أ.م.د. كامل عبد الحسين ، رسم ، فنون تشكيلية ، كلية الفنون الجميلة / جامعة بابل .

3ـ أ.م.د. محسن رضا محسن ، رسم ، فنون تشكيلية ، كلية الفنون الجميلة / جامعة بابل .

اشكال البحث :

شكل (1)

شكل (2)

شكل (3)

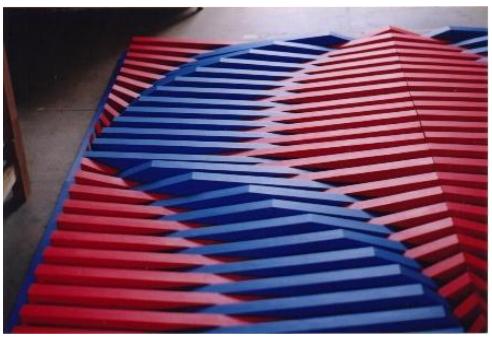

شكل (4)

شكل (5)

شكل(6)

Features tendency cosmic in contemporary Iraqi configuration

AYAD MAHMOUD HIYDER
ATYAF ALI NAJEM

Summary

The research current (features tendency cosmic in contemporary Iraqi configuration) attempt to study the dimensions of the conceptual and philosophical foundations upon which the tendency of cosmic within the period that extended its influence beyond the place where I grew up to be circulated concepts in all parts of the world, it is no doubt that the world is now heading to rapprochement after the tremendous developments in the field of communication technology and reflected heavily on identity concepts, privacy, the concept of nation-states ... etc. to become an individual and a large area of access to other cultures, and all that aroused the interest of contemporary Iraqi artist this interest arising from the desire to keep up with developments in the world of developments at the level of ideas or at the level of their practical applications in the field of art. So promising researchers studied four chapters, the first chapter of it concerned with the methodological framework for the search represented research problem which is determined by answering the following two questions: - What are the features of the universal tendency that emerged in the products of contemporary art!? - Is it possible to identify those features and levels of formal and technical Alamadaminah artists Fine Iraqis across Mndzhm Fine!? The first chapter also included a goal Find a (detection features tendency cosmic in contemporary Iraqi art) The boundaries of research has been limited to the study of the features of the tendency of cosmic and analysis of pictorial models for artwork Iraqi contemporary in the time period (1990-2010) performed by artists Iraqis inside and outside Iraq The materials are different, then Chapter mentioned terminology entitled Find seal, either disconnect the second has included a presentation of the theoretical framework, which included three sections, the first of it (the concept of cosmic and privacy) and taking second section (features tendency cosmic in contemporary global Fine Arts), and display the third section (Find approaches between the contemporary global art and contemporary Iraqi Art) and ended Chapter indicators theoretical framework. Chapter III has specialized display research procedures in terms of monitoring the research community and information related to the selection of a sample of it deliberate manner, which amounted to (35) in accordance with Cecchelaa and by (4) models of the sample covered the limits Find the adoption of the descriptive approach and the way the descriptive analysis for the purpose of analysis. Chapter IV brought together the results of research and conclusions as well as recommendations and proposals, followed by the list of sources.